اندفع سيد فى طريق الشرق، حيث الصحراء وبعدها المقابر. طريق لم يقطعه أبداً من قبل.

لا يرى سوى الغبار فى عينيه، وأشباح الرجال وخطوط الجدران، وأسقف البيوت، تسلم نفسها لفراغ مصنوع من حرارة الشمس، والأطلال وأكوام الخرائب.

يقطع الأمتار الأخيرة قبل أن يخرج من المدينة، حاملاً طفله «وحيد»، الذى مات منذ ساعات، ملفوفاً فى بشكير ملون.

أحمر العينين، منكوش الشعر، متهدل العقل والملامح، اقترض أولاً: ثلاثة جنيهات، لزيارة الطبيب الكبير ثم ثلاثة للدواء، وبحث عن ثلاثة أخرى، يوم أن عاد من عمله، ليرى وحيد فى حجر أمه أزرق، متهدل الرأس، مغلق العينين.

عندما لم يجد، ذهب إلى «المستوصف» القريب، ودفع آخر جنيه ونصف. بعد الزيارة، تركه مع أمه فى الغرفة،